

تداعي الصور وحديث الذكريات في النص الرحلي - رحلة عبد الله ركيبي أنموذجا -

د / ناصر بركة بريد المرسل : barka28000@yahoo.fr

قسم اللغة والأدب العربي . كلية الآداب واللغات جامعة المسيلة . الجزائر

التقييم الدولي : 1969 - ISSN 2335 - تقيم الإلكتروني 2602-506 X E.ISSN

المخلص

Association of Images and the Talks of memories The In the Travel Text The Travel of Abdullah Rekibi Case Study

Abstract

The purpose of this study is to investigate the relationship between the association of images in Abdullah Rekibi's journey and the association of memories. We thus explore the subjective views and personal behaviors initiated by the writer in his journey. In doing so, they became formulated in a selective way, in which we invest psychic and other creative elements.

The formation of this material stored in the memory therefore relies on the activation of the evocation mechanism during the practice of the act of writing, as a passage from a visual / cognitive station to another linguistic station in a textual format open to interpretation and multiple readings, beyond its textual limits.

Key words : Images.
Talks. Memore. Vision

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن العلاقة بين تداعي الصور في رحلة عبد الله ركيبي، وبين ما يرتبط بها من ذكريات، وهذا بتقصي المواقف الذاتية والتصرفات الشخصية التي بدرت من الكاتب في رحلته، فاستحالت مادة قابلة لأن تُصاغ بطريقة انتقائية تستثمر فيها عوامل نفسية وأخرى إبداعية.

لذا يتأسس تشكيل تلك المادة المختزنة في الذاكرة على تفعيل آلية الاستحضار أثناء ممارسة فعل الكتابة بما هي انتقال من محطة عينية/ إدراكية إلى محطة أخرى نصية لغوية ضمن نسق نصي منفتح على التأويل وتعدد القراءات، تتعدى بفاعليتها النصية حدودها المادية لارتباطها بتوظيف حديث الذكريات.

إن عملية الانتقاء تتطلب إماما بأهمية ما يُنتقى من مخزون الذاكرة وما يناسب الذات في رahnها الذي يختلف حتما عما كانت عليه في رحلتها ذهنيا ونفسيا، وهذا بتأثير من الأمكنة التي زارها ركيبي تباعا مكونة لديه انطبعا وأفعالا وردود أفعال.

لكلمات المفتاحية: تداعي الصور، الذكريات،

الرحلة، الاستحضار

توطئة:

ترتبط الرحلة في الأذهان بالرغبة في

التنقل والارتحال بحثا عن المغامرة وما ينجم عنها من مفاجآت متنوعة ومحطات متعددة، وهذا يستند، في حقيقته، على إطار مكاني يمثل البعد الرئيس في إنتاج مادة ذات طبيعة جغرافية وإنسانية انعكست بصورة أو بأخرى على رؤية كاتبها وتتميز بواقعيته ضمن محدداتها المكانية والزمانية¹؛ فالرحلة بهذا المعنى سلوك إنساني حضاري ينعكس أثره على الفرد والجماعة، فما عاينته الذات طيلة مسار رحلتها يعدّ من حيث أبعاده الإيجابية إثراءً للتجربة الحياتية يتغير معها سلوك الشخص وتصرفاته وطرائق تفكيره، وقد يجد هذا الأثر طريقه إلى متن النص الأدبي مستفيدا من قدرة الرحالة اللغوية على نقل تلك التجربة من الواقع إلى جسد الكتابة، وما تقتضيه من تكثيف واختصار لأحداث وانتقاء لأخرى.

ولما كانت الرحلة متأسسة على الحركة والانتقال؛ فإنها وفقا لهذا التوصيف أكثر ارتباطا بمعنى السفر بما هو في دلالاته ومراميه مدرسة حياة "حافلة بالدروس والعبر وتحتشد بالعلم والمعرفة وتشحذ العقل والوجدان، وتزيد في الفهم والإدراك وتصلق الشخصية بفضل قساوة التجربة وحرارة المواقف ورهبة المغامرة وطلعة الجديد في كلّ شأن، ومواجهة المفاجآت وتحمل مشاق الغربة والسفر والاطلاع على الطبائع المختلفة والاعتیاد على الغريب والتمرس على معاملته"²، وهناك من يرى، محاولةً لتأصيل هذا النوع من أفعال الانتقال، أنّ للرحلة حضورا مضمونيا في متن القصائد أو المقامات؛ سردا للأخبار ومجالس السمر ثم استقلت ببنيتها النصية الحكائية المتفردة³. وعليه، يتبين أنّ الرحلة تهدف من حيث منطلقاتها إلى محاولة استكناه الذات الإنسانية في علاقتها بذوات أخرى، تختلف عنها في انتمائها المكاني ومكونها الثقافي والسعي لاختراق حاجز المسافات الطبيعية، وكذلك الرغبة في تنمية ملكة التذوق والإدراك والقدرة على الملاحظة والتدقيق في الأشياء.

لقد تغيرت الأحوال فصار بإمكان الرحالة، بحثا عن تحقيق رغباته تلك، الاستعانة بوسائل النقل للحصول على ذلك الكم الهائل من المعلومات بواسطة فعل الرحلة مشفوعة بحب الاستطلاع وشغف الاستكشاف تحملا لمشاق السفر وصعوبة الترحال وآلام الغربة وتباين الألسنة والعادات والتقاليد ليكتشفوا معالم البلدان ويتعرفوا على الأقوام وطباعهم ثم يعودوا إلى بلدانهم وقد تزودوا بالأخبار والمعلومات⁴ الخاصة بمجتمعات لها أعرافها وأخلاقها ونمط حياتي معين.

لهذا، تتعالق الرحلة، بما هي فعل تصويري وتقرير، بالإنثوغرافيا؛ وهي كلمة معربة تعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة⁵، غير أن أدب الرحلات يصور غالبا خبرة اتصال الرحالة بثقافة أخرى أو عدة ثقافات يقوم بتسجيلها في مذكراته أو يكتفي بالاحتفاظ بها في ذاكرته، ولا يلزمه البقاء طويلا في مكان واحد، خلافا للإنثوغرافي الذي يقصد بدراسته فئة مجتمعية في فترات قد تمتد لأشهر باتباع منهج خاص.

أغراض الرحلة ودوافعها:

- تتباين دوافع الرحلة من شخص إلى آخر بحسب ما تمليه ظروف القيام بها ودواعي السفر والارتحال، ومن هذه الدوافع المرتبطة بقصد ما يهدف الرحالة إلى تجسيده⁶:
- **دافع ديني:** ومن أمثلته الحج إلى البقاع المقدسة، لأداء المناسك قياما بالواجب الديني وامتنالا ممن استطاع إليه سبيلا.
 - **دافع علمي أو تعليمي:** للاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم ذاع صيتها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة.
 - **دافع سياسي:** مثل الوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات.
 - **دافع سياحي وثقافي:** يصدر عن رغبة في الطواف والبحث عن المغامرة واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، وقد يكون للتعرف عن المعالم الشهيرة مثل الآثار والمنارات والأبراج والكهوف والغرائب والعجائب.
 - **دافع اقتصادي:** للتجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوفر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء اليسر والوفرة أو العمل. بيد أنّ وجود الدافع لا يعني يقينا نجاح الرحلة وتحقيق أهدافها بل يشترط في هذا الصدد تحقق شرط التواصل في البيئة المرتحل إليها، وذلك بالتدرب على استعمال مفاتيح اللغة الجديدة لأنها تُعين على كشف المجهول من الأقوال والأحوال؛ ولهذا قيل إن الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، ومن ثمة يذهب المهتمون بهذا النوع من الأدب الذي يتخذ من الرحلة مادة له في مضامينه إلى أن للرحلة ثمارا "لا تتوقف عند التعارف أو صقل الشخصية أو كشف المجهول من طبائع الشعوب لكنها تجود بالمكاسب العلمية والأدبية التي قد يتعذر حصرها، خاصة إذا كان الرحالة متمتعا بقوة الملاحظة ويقظة الحواس وحب المحاورّة والرغبة في التحصيل والحرص على التدوين والتسجيل"⁷
- وهو ما سيزيد من قيمتها الفنية متمثلة في تنوع أساليبها سردا وحوارا ووصفا، فلا تغدو معها عملية نقل المشاهدات والمعانيات والمواقف والأحداث نقلا آليا لا إبداع فيه، لأنّ المسألة رهنٌ بمدى تحقق البعد الفني في الكتابة الرحلية حتى ترسو بذلك على طريقة خاصة تميّزها عن غيرها من صنوف الكتابة الأخرى شكلا ومضمونا؛ لذا تعني من منظور علائقي التفاعل بين الذات والآخر، والذي يُترك فيه للرحالة حرية التعبير الكاملة في طرق الموضوعات المهمة أو الشيقّة⁸ حتى يستثير القارئ ويدفعه إلى مشاركة الكاتب في رحلته انطلاقا من فعل القراءة وآلياته الخاصة.
- وإنّ أهمية الكتابة الرحلية حينما يستحيل الانتقال إدراكا للأشياء ووعيا بالأمكنة وفهما للثقافات واستيعابا للذهنيات لا تتأتى إلا بتفعيل المتخيل من لدن كاتب الرحلة، لما له من دور في

استحضار الوقائع والأحداث بأبعادها الزمنية التراتبية التي تعتمد عادة على ما عاينه الكاتب وقيّده على دفتره الخاص، حتى يكون هذا المعطى بمثابة مادة خاما سيتكون منها فضاء نصي بمكونات لغوية تختصر المواقف والمشاهد تارة وتُسهب في تفصيلها تارة أخرى، تبعا لدرجات تأثيرها وقدرتها على فرض وجودها اللغوي فضلا عن وجودها الواقعي؛ لذا ينطلق كاتب الرحلة في تشكيل نصه لغويا من معطيات متضافرة تهيي القارئ ليجول في كيان النص؛ باحثا عن صورته المتلاحقة وقد أُعيد بعثها في قالب خاص؛ يُعد مؤشرا على ما يُميّز النص الرحلي من مميزات تثير في نفس المتلقي الفضول لمعايشة ما عاينه الكاتب في رحلته.

من هنا يُمثل فعل الكتابة في النص الرحلي وسيلة من وسائل التعبير عن الأنا في حلها وترحالها، حيث تسنح بتجسيد الصور المنتقاة من مخزون الذاكرة بطريقة مبنية على محاولة تموقع لغوي متفرد، وناتج هذا الفعل ههنا نص مكتوب "يستطيع القارئ في كل قراءة أن يكتبه وينتجه وهو يقتضي تأويلا مستمرا ومتغيرا عند كل قراءة ولهذا يتحول دور القارئ إلى دور إيجابي نشط"⁹. ويبدو انطلاقا مما سبق أن الواقع المنقول من صورته المدركة إلى صورته الورقية قائم على الصفة المرجعية الفاعلة الذي يجسد أصالة الإبداع انتماءً وبناءً، بما اكتسبه من معطيات فنية وواقعية مثلما تتجلى ابتداءً في رحلة عبد الله ركيبي.

محددات الاصطفاء في رحلة عبد الله ركيبي

تتيح قراءة نص الرحلة إمكانية حضوره وتعدد دلالاته، فتكون الكلمات أقدر على الحركة من المعاني لأنها تستطيع أن " تعني أي شيء ويكفي في ذلك تأسيس سياق يوحد هذا المعنى الجديد"¹⁰؛ وتتعلق تلك الفعالية في رحلة ركيبي* وعنوانها "في مدينة الضباب ومدن أخرى" بهامش الحرية المتاح للكاتب في اصطفائه لمشاهد أو مواقف وإقصائه لأخرى وهو الذي يجد نفسه بين ذاتية التخيل والذاكرة الحاملة، فما ترسب في مخزون الذاكرة بناءً على هذا الملمح يُستحضر اعتمادا على ما يتيح فعل الكتابة من إمكانية المواءمة بين عالمين أولاهما تخيلي والآخر واقعي، ومع هذا نتلمس في نص الرحلة قيد الدراسة اعترافا صريحا بما قد تتعرض له الذاكرة من قصور يرافقه عامل الكبر وتقدم السنّ، يقول ركيبي: "ولكنني أعرف أن الذاكرة تضعف مع تقدم العمر ومشغل العمل والحياة ولذا سأعتمد في كتابتي على ما بقي عالقا بالذاكرة وإن كان بعضها حديثا والبعض الآخر مرت عليه أعوام طويلة حتى كاد يتلاشى أو يطويه الزمن ويذروه في بحر النسيان"¹¹.

فعملية تتبع تلك المواءمة لا تنفصم من حيث أصولها الأولى عمّا يتطلبه فعل الكتابة من دراية بأصول اللغة وأفانين التصوير التي تقتضي بدورها مستوى معرفي خاص بقواعد اللغة، ينقل

به الكاتب ذكرى المكان بجزئياته وشاعريته إلى واقعة لغوية، وإبداع من نوع آخر، وبداية لحياة متجددة قوامها دورٌ سيضطلع به النص وفي طياته ذاتٌ كاتبة على دراية بما تفعله وتبدعه.

هكذا يمنح فعل القراءة للنص الرحلي إمكانية استمراريته؛ متجاوزا اللحظة التي أنتج فيها فكلما توفر البعد الإنتاجي في النص كانت إمكانيات إنتاجه من خلال التلقي مفتوحة؛ وعليه لا يُنظر إلى هذا الفعل على أنه تبعية لسلطة النص المكتوب، بل بوصفه فعلا منتجا للأدب يسعى به صاحبه إلى تجاوز مرحلة النسيان اعتمادا على ما سجله عن رحلته في دفتر يومياته أو على ما استحضره من ذاكرته بوصفها جسرا "يصل بين زمنين الحاضر؛ الذي يطلب استقدام واقعة ماضوية، فيرسل حاويات التذكر لنقلها من حصونها في الذاكرة كي تخضع لسلسلة من العمليات؛ التي تؤهلها للدخول في عالم جديد يتيح إحرار نتائج متقدمة على مستوى النضج والإدراك والتمثل"¹²

إنّ الحديث عن حاضر الكتابة في رحلة عبد الله ركيبي يمثل مشروعا لإعادة صياغة الأحداث وقد تلاشى وميضها أو يكاد، في تواصل لافت ينم عن كفاءة هي بالأساس حصيلة إسقاط محور الفعل/ الكتابة على محور السياق، هذا الإسقاط يختلف المتكلمون في مستوياته ودرجاته وبه تتحدد كفاءتهم التواصلية وتباين قدراتهم التوظيفية لتفاصيل المواقف والمشاهد والأحداث التي قد يشترك الكثيرون في مجرياتها أو معابنتها ولكنهم يختلفون حتماً في كيفية نقلها وسرد تفاصيلها وانتقاء الأنسب منها لمقام الحال ومقتضياته العمرية والإدراكية* وبخاصة إذا ما تحول ذلك إلى تشكيل فني ورؤيا إبداعية على مساحة ورقية تتفاعل فيها شخصيات وأمكنة وأزمنة وحركات وسكنات.

وهو ما يبين عمق الانسجام بين فعل الكتابة وعملية الاستحضار أثناء عملية تحويل ما تمّ انتقاؤه من أحداث ومواقف وأفعال إلى نص يحمل معه روحا متفردة، سيسعى منذ لحظة انفصاله عن مبدعه إلى تحويل وجهته صوب أمكنة شتى، لأنه صار اختصارا ملكا للغة ونظمها، الإشارية؛ فاتحة أمامه أبوابا للتعريف به وبصاحبه في إعادة صوغ لمحطات رحلته كتابة وبعث لحيثياتها، بشكل قد لا يخلو في أحيان كثيرة من بصمة المخيال.

ويبدو، تأسيسا على هذا المعطى، أنّ مضمون الأدب الرحلي مشدود إلى الواقع بلحظة الكتابة والإبداع اعتمادا على نشاط الذاكرة، على أن ما يعترها من النسيان أو الإخفاق في الاسترجاع يُحتمل أن يكون نتيجة للتفاعل المتعدد للتداخلات والزمن والعوامل الانفعالية، وبحسب الأوضاع فإن كل متغيرة من هذه المتغيرات قد تكون حاسمة في هذا الموضوع¹³.

والذاكرة بمفهوم علم النفس الحديث ليست سوى مستودعا أو مخزونا يخترن فيه الفرد جميع الصور الاجتماعية والعرفانية والعقلية التي تمر أمام مخيلته خلال حياته في هذا العالم¹⁴، وعليه يكون لإعمال الذاكرة دور في استحضار صور الماضي وأحداثه، وما يتصل به من انفعالات

وذكريات، تنتظم ضمن إطار نصي له صياغته الخاصة، وقياسا إلى سعة تجارب الذات ومدركاتها التي تعيها في حياتها فإن الذاكرة ليس بمقدورها الإحاطة بتفاصيل المواقف وجزئياتها، وفقد القدرة على تذكرها معناه أن جزءا من مخزون الذاكرة قد توارى خلف حجب النسيان، فالعملية إذاً محض تعالق بين نشاطين مهمين؛ التذكر والتفكر اللذان يتلازمان في أثناء عملية إنتاج النص وإبداعه بوضع كل ذكرى في موضع محدد من هذا البناء.

إن استدعاء ما يحيط بالمواقف الحياتية من تفاصيل يتم بواسطة التخيل، وعليه يتجه عنوان عبد الله ركيبي (في مدينة الضباب ومدن أخرى)، في انفتاحه دلاليا، إلى سلوك مسلك آخر أقرب ما يكون إلى مخالفة المؤلف وكسر أفق الانتظار لأن استحضار الأمكنة والأزمنة يأخذ طابع التوصيف في راهن الكتابة عن الرحلة الممزوجة بالعودة إلى الوراء: "وأسرعت عجلة الذاكرة إلى الرجوع للخلف أكثر"¹⁵، عندئذ يمكن أن يكون المكان مدعاة للاحتفاظ بالذكرى يقول ركيبي: "وغاصت بي الذكريات في أعماق القاهرة المدينة التي شهدت دراستي الجامعية"¹⁶.

هكذا، فإنّ الكتابة في النص الرحلي قائمة على ما سماه (رولان بارت Roland Barthes) تجربة الذات المتذكرة بالقوة وهو ما يعني أن هذا الفعل لا يمكنه أن يكون محايدا لخروجه عن مألوف الاستعمال وما هو سائد من الآراء¹⁷، لذا ليس غريبا أن يتصدر هذا الكتاب عنوان آخر لرحلة الكاتب واصفا إياها بالسياحة الأدبية على حدّ توصيف عبد الله ركيبي تعبيرا عن تجربته الذاتية في رحلته إلى عاصمة الضباب (لندن)¹⁸.

والذاكرة في سياق نشاطها العضوي معرضة إلى القصور وهذا باعتراف ركيبي نفسه إذ يقول: "ولكنني أعرف أن الذاكرة تضعف مع تقدم العمر ومشاكل العمل والحياة ولذا سأعتمد في كتابتي على ما بقي عالقا بالذاكرة وإن كان بعضها حديثا والبعض الآخر مرت عليه أعوام طويلة حتى كاد يتلاشى أو يطويه الزمن ويذروه في بحر النسيان"¹⁹.

ولكن حينما لا تثبت الأحداث على مستقر لها في ذاكرة الكاتب، فإنه يلجأ حينذاك لتوظيف مقدرته التخيلية في استحضار الصور الغائبة عن ناظره أو مستعينا بما يروى له عن محطات حياته، فالملاحظ أن عملية التذكر تقرر عادةً بوعي اللحظات التي يحياها المبدع في حاضره وماضيه، وفي مثل هذه الحال "يشعر المرء بأن عليه أن يستبطن ذاته أو يعرض لشريط حياته وذكرياته رغما عنه فهو مجبر بأن يغوص في الماضي كما أن عليه أن يستشرف المستقبل وأن يتأمل تجاربه في الغربة"²⁰.

فما صار شكلا إبداعيا في ثنايا النص الرحلي يكون بناء على هذا الوعي قد تأسس على معطيات خارجية يُعاد تقديمها والتمثيل الفني يترجم الواقع إلى ذكرى، وعن طريق هذا التذكر يغترف الفن بما هو كائن وبما يمكن أن يكون، في حدود الظروف الاجتماعية وخارج حدودها²¹.

إن شريط ذكريات عبد الله ركيبي يستمد معالمه من توالي صور المحسوسات في الذاكرة بعد مفارقتها وزوالها عن الحس²²، وبتيح المتخيّل استحضار جزء من مخزونها وتحيينه، حتى يقترن بتجارب اللحظة الراهنة التي تعيشها ذات المبدع وتلك ميزة تؤسس للفعل التخيلي مرجعية واقعية ذاتية تتخذ لها حضوراً قائماً على فكرة التداعي مثلما نستشفه في هذا المقطع: "تداعت الذكريات يأخذ بعضها برقاب بعض"²³ على أن شكل توالي تلك الذكريات رهن بمقدار أثرها في النفس فبعضها يثبت في الذاكرة لقيمته وبعضها الآخر لا يثبت مثلما يقول ركيبي: "ومرت كالبرق ذكريات كثيرة وازدحمت الخواطر"²⁴.

فيغدو التخيل، من حيث هو عمل إبداعي، تلوينا لصور المواقف المستحضرة بألوان نفسية تخضع، في أحايين كثيرة، للحالة التي يكون عليها الكاتب الذي تتعرض ذاكرته بوصفها نظاماً لمعالجة المعلومات، إلى تراجع في آدائها فكل ما مرّ على المرء "من تجارب يبقى مسجلاً في سجلات الذاكرة، تارة يستدعي الإنسان ذكرياته إرادياً وبنوع من التركيز وتارة تقفز الذكريات من تلقاء نفسها إلى الوعي فجأة فتباغت صاحبها"²⁵.

إن الخيال إذاً هو "القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، لا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدرجات حسية بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك، فتعيد تشكيل المدرجات وتبني منها عالماً متميزاً"²⁶ يجعل منها ميزة يتفرد بها المبدع عن غيره.

وعليه يؤسس استحضار المواقف والأمكنة والأزمنة في سياق البنية السردية للرحلة المدروسة عالماً متميزاً تمتزج فيه الذكريات والوقائع والأحداث؛ التي يلم شتاتها النص الرحلي وما فيه من وظائف فنية لافتة لا تتوقف توظيفاً عند سعي الكاتب لتوجيه عملية الاستحضار؛ بل إن الارتداد إلى ماضي الأنا يتجاوز في بعده التأويلي جدلية الذات/ الواقع، لارتباط هذه العملية فنياً بمدى قدرة الذات على المواءمة بين حاضرها الذي تحياه بإدراك ونضج ووعي خاص وبين ماضيها الذي أضى صوراً قابلة للتعديل أو التغيير أو الإلغاء أو التشويه أو متعلقة بالتداعي "الذي يحدث تلقائياً؛ حين تقابل شخصاً ما أو تزور بلداً ما أو تجلس في مكان معين فالتذكر لا يحتاج إلى القصد أو إعمال الفكر بل يأتي طبيعياً وبدون مقدمات ويظل يتدفق كالنهر الجاري"²⁷.

هكذا يتم تداعي الصور المختزنة بناءً على تواصل الذات مع واقعها المنتمية إليه بما يحمله من تأثيرات ووفقاً لطرائق سرد خاصة تتخذ من من خطية الزمن نمطاً لها؛ لأن فهم الزمن واستيعاب اللحظة التي تتقلب فيها الأنا مرهون بحالة نفسية يشعر الكاتب "بأن عليه أن يستبطن ذاته أو يعرض لشريط حياته وذكرياته رغماً عنه فهو مجبر بأن يغوص في الماضي كما أن عليه أن يستشرف المستقبل وأن يتأمل تجاربه في الغربة"²⁸.

إنّ البنية السردية في رحلة عبد الله ركيبي تستمد جمالياتها من إدراك ما لها من دور في تحفيز الوعي الذاتي بوجود الأنا النصي فضلا عن الوجود الواقعي، ليتأكد بذلك هذا التلازم بين الوعي بقيمة الكتابة في تعريفها بالأنا من جهة واستمرارية تأثيرها من جهة أخرى فهي بهذا المعطى جزء لا يتجزأ من تجربة الكاتب الذي تنقل بين مدن كثيرة؛ منها ما لا يترك في النفس أثرا، ومنها ما يترك ذكريات لا تنسى ممزوجة بالشوق والحنين لأهلها ودورها وأثارها وأحيائها وطرقاتها، ومن أمثله أيضا قوله: "من المدن التي تعاطفت معها مدينة (لندن) فقد زرت مدنا غربية كثيرة ولكنني أحسست لسبب لا أدريه بجاذبية نحو هذه المدينة حتى إنني جعلتها منطلق هذا الكتاب وربما لأنني درست فيها وعرفت أصدقاء أعزاء، وربما لأن سكانها يرحبون بالناس ويحترمون قاصديها لأي غرض من الأغراض، أو ربما لأنها تمثل بلدا لم يكن بيننا وبينه عداوة"²⁹.

ويقول في مقطع آخر وقد تمثل صورة المدينة قارنا إيّاها بتجربته الذاتية: "ومن تجربتي في هذه المدن ومن زيارتي لكثير منها سواء كانت عربية أم أجنبية أدركت أن المدن مثل الأشخاص منها ما نحبه ونشعر بالألفة معه ومنها ما لا نتعاطف معه ومنها ما نعجز عن تحديد شعورنا نحوه بالضبط"³⁰ فالملاحظ أن الإتيان على ذكر عناصر بعينها لها صلة بتقلباته يؤكد قيمة معالم المدينة وتأثيرها في زائريها؛ من استشعار للطمأنينة ومعاني الألفة والإعجاب.

وبالمقابل يختلف الشعور إزاء المدينة كشكل من أشكال المفارقة وبما يشبه الاعتراف؛ فما زاد همومه هو "هذا الإحساس بالوحدة في هذه المدينة الكبيرة فالغربة مؤلمة لا يحس بها إلا من عانى منها مثلي فلا يجد سوى الصمت والفراغ فيحاورهما ولا يسليه سوى القراءة أو التأمل في الحياة والغد والأمل في العودة إلى أرض الوطن الحبيب"³¹.

وتقتزن النظرة في الأشياء بالتجربة الشخصية فهما وإدراكا تجعل التركيز منصبا على محطات دون أخرى، فالأمر بهذا الشكل يتعدى بفاعليته حدود التداعي لما يستحضر من صور ومشاهد، ولكنه قد يكون محددًا من محددات فعل الكتابة في النص الرحلي وعاملا موجها لهذا الفعل، يقول ركيبي: "كتبت في هذه المدن بعيون مفتوحة ومشاعر ودية ونظرة موضوعية وأحيانا نقدية ومن ثمة ركزت على الجوهر لا على السطح كما عنيت بمواقف معينة دون أن أوغل في التفاصيل التي يهتم بها الرحالة في غالب الأحيان ومنها المعلومات الجغرافية والتاريخية"³² ولكن حينما يتعلق الأمر بمدينة نشأ فيها وعاین معالمها فإن نشاط التداعي يزداد عمقا وتفصيلا في نقل الأحداث بتأثير من المكان نفسه، مثلما يتجلى في قوله: "وغاصت بي الذكريات في أعماق القاهرة المدينة التي شهدت دراستي الجامعية"³³.

وأحيانا يقرّ بغايته التي لا تتأى عن منطلقات الكتابة لديه، وهو ما يستشف من اعترافه بقصدية فعل الكتابة وما يبتغيه من وراء تسجيله لمراحل رحلته إذ يقول: "تكتب عنهم بنظرة مختلفة وبلا ذاتية تغطي الحقيقة الساطعة التي لا يشك فيها أحد ثم إننا لا نكتب لهدف سياسي أو مصلحة

خاصة³⁴؛ فاستحضار الأمكنة والأزمنة يأخذ طابع التوصيف في راهن الكتابة عن الرحلة اعتماداً على ما تداعي من صور؛ يبدو بعضها واضحاً في مخيلته وتظهر أخرى على السطح بدافع من سلطة القارئ وفضوله يقول ركيبي: "كل ما أفعله هو أن أعصر ذاكرتي لأرسم للقارئ صورة ربما غير كاملة ولكنها كافية كي تثير فضول القارئ فيقارن بين أمس واليوم"³⁵، وإن وضع الكاتب القارئ في حسابه فهو بذلك يرسم اتجاهها محددًا لفعل الكتابة لديه حتى لا تتحول إلى مجرد ترف فكري ينتهي فيه النص الرحلي بمجرد الانتهاء من صوغ عباراته وتأليف جملة.

لذا، تتأسس جمالية التعامل مع الوقائع والأحداث على طريقة نقلها برؤيا إبداعية وتشكيل فني خاص، على أنّ بعضاً من الذكريات لا يستحق من منظور انتقائي أن يُحتفى به كتابةً، مثلما تضمنه المقطع الآتي: "ومرت كالبرق ذكريات كثيرة وازدحمت الخواطر"³⁶؛ فهذا التوصيف يتعالق بالحالة النفسية التي يكون عليها الكاتب عند تعامله مع ما احتفظ به من صور لوقائع ومناسبات ومشاهدات طفت على السطح واتخذت سبيلها في مبنى النص الرحلي ومعناه.

هكذا، وبناءً على ما سبق، تتأكد أهمية للرحلة ودورها في تنمية ملكة الإدراك لدى المرتحل، وهو الذي يجد نفسه مشدوهاً أمام ما يعاينه من تنوع أمكنة وسلوكات وتقرّد أمزجة وعادات يتميز بها كل مجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى، لهذا وجد فيها الرحالة مادة لكتاباتهم النصية تقييدا لأحداثها وتسجيلا لمراحلها.

لقد أسهم نص الكتابة الرحلي بانتمائه الثقافي في تسجيل الكثير من الرحلات انطلاقاً من بعدها الكرونولوجي من بدايتها إلى نهايتها، فأتاح هذا التسجيل نقلاً لمسار الرحلة ومجرياتها فكانت شاهدة على ما وقع من أحداث تاريخية عايشها هؤلاء الكتاب، بيد أنّ الخوض في ذلك لا يعني تجردها من فردانية نصوصها بما لها من خصائص فنية تميّزها عمّا سواها من الكتابات.

تتجاوز الكتابة الرحلية إذاً نمطها السردية الذي يبدو في ظاهره بسيطاً لا يتعدى اللحظة المنقولة من حيث كونها صورة مركبة من عناصر متفاعلة؛ إذ إنّ وجهة النظر المتحكمة في استحضار الأحداث، مثلما ترسم صورها في تلافيف الذاكرة، لا يلغي حركة الفعل الإبداعي وما يتطلبه من وعي خاص بطبيعة الوقائع والأحداث والمواقف التي تعد مادة حكاية يمتزج فيها الواقعي بالمتخيل وينمو حافظ الكتابة بنمو النص نفسه، فالحديث عن التجربة الإبداعية، حينما تتخذ من الواقع موضوعاً لها لا يخلو من خصوصية الانتقاء لما اختزنته الذات من صور منتقاة تمثل تجربة شعورية متجددة على الدوام.

**Association of Images and the Talks of memories The
In the Travel Text
The Travel of Abdullah Rekibi Case Study**

Abstract



The purpose of this study is to investigate the relationship between the association of images in Abdullah Rekibi's journey and the association of memories. We thus explore the subjective views and personal behaviors initiated by the writer in his journey. In doing so, they became formulated in a selective way, in which we invest psychic and other creative elements.

The formation of this material stored in the memory therefore relies on the activation of the evocation mechanism during the practice of the act of writing, as a passage from a visual / cognitive station to another linguistic station in a textual format open to interpretation and multiple readings, beyond its textual limits.

The selection process requires a close attention to the importance of what is selected in the store of memory and what is appropriate for oneself in its present, which is certainly different from what it was mentally and psychologically, as the places visited by Rekibi created impressions, actions and reactions. Effectively, the travel is based on a spatial framework that represents the main dimension in the production of a material of a geographical and human nature, reflected in different ways in the writer's vision and characterized by the reality of the life experience along with the behavior of the person and his personal behavior. This is to transfer this experience of reality into the body of writing and the necessary intensification and shortening of events and the selection of others.

The situation has changed so that travelers can use these means of transport to travel, the difficulty of traveling, the pain of alienation, the differences in languages, customs and traditions to discover the landmarks of countries, identify people, print them and return to their country and the societies that have their own customs a certain way of life

Purpose and reasons for the trip:

The reasons for travel vary from one person to another one, according to the circumstances dictated by the reasons for travel. These reasons are factually associated with the purpose of what the traveler wants to embody:

-Religious motive: Examples of pilgrimages to the holy places, to perform the rituals of religious duty and the respect of those who have managed to walk.

-The scientific or educational reason: To learn more about science in another part of the world, its reputation is in science, like jurisprudence, medicine, engineering and architecture.

-A political motive: like the delegations and embassies sent by kings and rulers to kings and leaders of other countries to exchange views and consolidate relations.

-Tourism and cultural motivation: the desire to deliver a vagrancy and in search of adventure and to acquire experience and skin tones urinary, may have



to know famous sites, such as monuments, lighthouses, towers, caves and zany wonders.

-**An economic motive:** trade and exchange of goods or open new markets for local products or bring goods are available in other countries and are rare in the country of the traveler may be to escape the high cost of living and in pursuit of ease and abundance or work.

Selection Determinants in Abdullah Rakibi's travel

The importance of the traveler's writing in the text studied seems to take into account the places and the understanding of cultures and the assimilation of the mentality, which can only be achieved by the imagination of the author of the journey. Given as a raw material, it will consist of a textual space with linguistic components that summarize positions and scenes at certain times, depending on the degree of their impact and their ability to impose their linguistic presence and their actual existence.

The reading of this type of text allows us to transcend the moment in which it emerged, and to achieve its continuity, based on an understanding of the reality of the self and how to translate the memories into a creative language, special awareness and the ability to condense and express.

The talk about the present writing in the text is a project to re-formulate the events and details of positions and scenes that may be involved in many of the course or preview, but they differ in how to transfer and the details and the most appropriate selection of the status of the case and age and cognitive. This can be especially true if it rendered into an artistic and creative vision on a paper space in which characters, places, times, movements and lodges interact.

Key words : Images. Talks. Memore. Vision. Language.Space Imaginations.

هوامش الدراسة:

- ¹ - ينظر : فؤاد قنديل:أدب الرحلة في التراث العربي، ط02، مكتب الدار العربية للكتاب، 2002، ص19.
- ² - فؤاد قنديل: المرجع نفسه، ص 21.
- ³ - ينظر: شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، ط01، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص120.
- ⁴ - حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص33.
- ⁵ - حسين محمد فهيم: المرجع نفسه، ص 43- 44.
- ⁶ - ينظر : فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص 19- 20.
- ⁷ - فؤاد قنديل: المرجع نفسه، ص 23.

- 8 - حسين محمد فهيم: مرجع سابق، ص 63.
- 9 - ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط02، 2000. ص182.
- 10 - عبد الله الغدامي: الخطيئة والتكفير، دار سعاد الصباح، ط03، 1993، ص70.
- * / هو عبد الله خليفة ركيبي (1928-2011) زاول مرحلة الابتدائي بمسقط رأسه (بسكرة)، ثم أتم تعليمه المتوسط والثانوي في تونس، واصل دراسته العليا بجامعة القاهرة متحصلا فيها على شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه في الأدب العربي الحديث، اعتقلته السلطات الاستعمارية في معتقل أفلو بولاية الأغواط سنة 1956 ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية في مدينة بسكرة، ولكنه فرّ منها ليلتحق بجمال الأوراس معقل الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال اشتغل مدرسا بجامعة الجزائر "كلية الآداب" قسم اللغة العربية، وترقى في سلك التدريس حتى أصبح أستاذ كرسي للأدب العربي الحديث. أشرف على البحث العلمي بالقسم المذكور لمدة ثلاث سنوات وبقي عضوا في مجلس البحث العلمي حتى غادر الجامعة. ترأس نادي الفكر العربي الذي أنشأه مثقفون جزائريون بعد الاستقلال سنة 1965، أسهم في تأسيس اتحاد الكتاب الجزائريين.
- 11 - عبد الله ركيبي: في مدينة الضباب ومدن أخرى، ط01، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص10.
- 12 - محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008، ص07.
- ** / يعني (الإدراك) الفهم والتعقل بواسطة الحواس، ويتعلق لدى الذات بالآثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس. ينظر: عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ط02، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972، ص68.
- 13 - كريستيان ككنبوش: الذاكرة واللغة، تر: عبد الرزاق عبيد، د/ ط، دار الحكمة، الجزائر، 2002، ص34.
- 14 - ينظر: مصطفى غالب: الذاكرة، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1991، ص05.
- 15 - عبد الله ركيبي: مصدر سابق، ص42
- 16 - عبد الله ركيبي: المصدر نفسه، ص45
- 17 - درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، ط03، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص61.
- 18 - يقول ركيبي تلخيصا لما عاينه في رحلاته: "ومن تجرّيتي في هذه المدن ومن زيارتي لكثير منها سواء كانت عربية أم أجنبية أدركت أن المدن مثل الأشخاص منها ما نحبه ونشعر بالألفة معه ومنها ما لا نتعاطف معه ومنها ما نعجز عن تحديد شعورنا نحوه بالضبط" ينظر: عبد الله ركيبي: في مدينة الضباب ومدن أخرى، ص10.
- 19 - عبد الله ركيبي: مصدر سابق، ص10
- 20 - عبد الله ركيبي: المصدر نفسه، ص25.
- 21 - ينظر: هربرت ماركوز: البعد الجمالي، تر: جورج طرابيشي، ط2، دار الطليعة للطباعة، بيروت، لبنان، 1982، ص84.
- 22 - ينظر: جيرار جيهامي: موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1998، ص161
- 23 - عبد الله ركيبي: مصدر سابق، ص189
- 24 - عبد الله ركيبي، المصدر نفسه، ص113
- 25 - محمد عابد الجابري: حفريات في الذاكرة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص174

- 26- المصطفى مويقن: بنية المتخيل، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 2005، ص101.
- 27 - عبد الله ركيبي: مصدر سابق، ص199
- 28 - المصدر نفسه، ص25
- 29 - المصدر نفسه، ص11
- 30 - المصدر نفسه، ص10
- 31 - المصدر نفسه، ص110
- 32 - المصدر نفسه، ص12
- 33 - المصدر نفسه، ص45
- 34 - المصدر نفسه، ص13
- 35 - المصدر نفسه، ص199
- 36 - المصدر نفسه، ص113